الألفاظ التركية الدخيلة في اللسان السوداني
مظاهرها ودلالة تفشيها واستمرارها

أ.د. محجوب محمد آدم

كلية التربية- جامعة الزعيم الأزهري

المستخلص :

تناولت الورقة مظاهر تسرب مجموعة كبيرة من الألفاظ التركية في اللهجة السودانية، ودلالة تفشيها واستمرار استخدامها ، وهو أمر يدعو للوقوف عنده ودراسته لاستجلاء سبب استمرار استخدام هذه الكلمات حتى يومنا هذا. وقد هدفت الورقة في تناولها لهذه الظاهرة إلى الوقوف على دلالة تفشي اللغة التركية بخاصة ، وتفسير هذه الظاهرة للوصول إلى فهم عام لوسائل الغزو الحضاري والثقافي وأدواته.ولاشك أن أهمية الورقة تنبع من تناول قضية تتصل بثقافة الأمة وفكرها ، وطرائق حفاظها على ذاتيتها ، من خلال لغتها وأدبها .وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج ، نذكر منها : أن كثيرا من الألفاظ الدخيلة قدمت أسماء ومصطلحات لأشياء وحرف لم يكن لأهل السودان عهد بها إلا في العهد التركي ، وأن كثيرا من هذه الكلمات الدخيلة عربت على أسس العربية فأصبحت قريبة إلى الذوق اللغوي الشائع في لسانهم مع ارتباط كثير منها بمفردات عربية في أصولها . وأن أهل السودان لم يفكروا في التخلي عن هذه المفردات بعد التخلص من الاستعمار التركي ، بجانب أن تركيا ليست في مرحلة مواجهة وعداء مع السودان ، وللحس الديني الذي يربط البلدين بوشائج القربى .

The extraneous Turkish words in the Sudanese tongue are their manifestations and the significance of their spread and continuity

Mr. Dr. Mahgoub Muhammed Adam

Abstract:

The paper dealt with the manifestations of the leakage of a large group of Turkish words into the Sudanese dialect, and the significance of its spread and continued use, which is a matter that calls for standing and studying it to clarify the reason for the continued use of these words to this day. In dealing with this phenomenon, the paper aimed to stand on the significance of the spread of the Turkish language in particular, and to explain this phenomenon in order to reach a general understanding of the means and tools of the civilizational and cultural invasion. The study reached a set of results, among which we mention: that many of the extraneous words were given names and terms for things and letters that the people of Sudan were not entrusted with except in the Turkish era, and that many of these extraneous words were Arabized on the basis of Arabic. It became close to the linguistic taste common in their tongue, with many of them linked to Arabic vocabulary in their origins. And that the people of Sudan did not think of abandoning these vocabulary after getting rid of Turkish colonialism, besides that Turkey is not in a stage of confrontation and hostility with Sudan, and the religious sense that links the two countries with ties of kinship.

مقدمة :

إن انتقال الألفاظ اللغوية بصوره المختلفة من لغة إلى أخرى أمر عرفته اللغات كلها في كل العصور ، ويمثل إفرازا طبيعيا للتواصل بين الشعوب ، وعلاقاتها الحيوية والاجتماعية ، واقترضت الشعوب من غيرها ما تحتاج إليه من مسميات الأشياء ومصطلحات العلوم ، وأدخلت في لغتها القومية من لغات غيرها ما يعوضها نقص لغتها ، أو تراها شعوبها أقرب إلى ذائقتها وأسهل في التعامل بها . وتبينت الدول أثر الاقتراض اللغوي و خطورته في تشكيل الذوق العام والبناء الفكري والثقافي للأمة ، إذ إن انتقال نسق لغوي من مجتمع ما إلى لغة مجتمع آخر هو بالضرورة انتقال ثقافة وفكر للمجتمع المستقبِل والمستهلك وتأثير في ثقافته وفكره ، ومن ثم تأثير في لغته ؛ فلجأت إلى التخطيط اللغوي لحماية لغتها وتطويرها ، أو التخطيط للغزو الفكري وتوسيع نفوذها وانتشارها والهيمنة الثقافية عبرها ، كما فعل الغرب منذ احتكاكه بعالم الشرق ولغاته إثر احتلال أراضيه ومواجهة شعوبه. وقد عرفت العربية ظاهرة الدخيل منذ نشأتها ، وأولتها فيما بعد عنايتها فدرستها ، ووضعت للألفاظ الدخيلة المعايير الكفيلة بتطويعها لنظام العربية

الصوتي والنحوي . فلما تزايدت مواجهة العربية في حال ضعف الأمة وركودها باللغات الحية ، ولاسيما بلغات الأمم التي استعمرت أجزاء من دولها - أفرزت تغولاً لغويا تأثر به كيان العربية اللغوي المعهود ونظامه المعياري ، لقد كانت البلاد العربية في هذه المرحلة في انعزال حضاري تام ، وفي حالة من الضعف والتخلف والركود الشامل في مختلف المرافق الفكرية والسياسية .فلما تحررت سياسيا أصبحت فيحاجة إلى تلك اللغات للانعتاق مما كانت فيه من الجهل والتخلف الحضاري . بل إن الأمة العربية ما تزال تعيش هذه المرحلة في لقائها الحضاري بالعالم الغربي المتقدم وحضارته الحديثة ، وإحساسها بضرورة اللحاق بركب المدنية ، ومع إحساسها في الوقت نفسه بذاتها واجتهادها للتحرر من تغول الاستعمار الفكري والخروج من وضعية التخلف والركود.

عرفت البلاد العربية تغولاً لغويا خاصاً وهيمنة من اللغة التركية منذ أن جاء الأتراك العثمانيون غزاة سنة 1517م وانتزعوا سورية ومصر من أيدي المماليك ، وانتقال خلافة المسلمين إليهم ، ومد سلطانهم إلى سائر البلاد العربية ، واستمرارهم في حكم العرب أكثر من ثلاثة قرون. ولا يكاد وضع السودان يختلف كثيرا عن وضع البلاد العربية الأخرى فيما يتصل بالتغول اللغوي وللأسباب نفسها ، وتشترك اللهجة العربية في السودان مع غيرها من اللهجات العربية في درجة تغول اللغة التركية وانسيابها في لسان العامة خاصة واستمرار تفشي الألفاظ التركية في كثير من مجالات الحياة حتى يومنا هذا . والأمر الذي دفعنا لهذا البحث هو الوقوف على مدى تأثير اللغة التركية على اللسان السوداني ، للسؤال عن سر تفشي المفردات التركية الدخيلة في عاميتنا ..

إن البحث عن هذا الإشكال يقتضي – كما نرى – أن تكون محاور هذه الدراسة لنبلغ بها أهدافها المرجوة على النحو التالي :

- الوجود التركي في السودان .
- المفردات الدخيلة من اللغة التركية .
- دلالة تفشي المفردات الدخيلة واستمرارها .

وقد اعتمدت الدراسة على عدة مصادر علمية بدءاً بالمصادر التاريخية التي تناولت الحكم التركي في السودان ، والمصادر التي أعانتنا في النظر إلى قضية الاقتراض اللغوي ، مستفيدين من الدراسات التي تناولت أثر اللغة التركية في اللهجات العربية بعامة ورصدت فيها المفردات الدخيلة ، ثم اجتهدت الورقة في تلمس أسباب تفشي المفردات الدخيلة ، مما اقتضى مقارنة أثر اللغة التركية بالأثرين النوبي والإنجليزي لعلاقة كل منها بالإنسان السوداني ولسانه .

الوجود التركي في السودان:

التاريخ الحديث يسجل للحكم التركي أنه جاء بعد السلطنة الزرقاء ، السودانية الأصل والمنبت ، ويسجل في الوقت نفسه أنه أول استعمار عرفه أهل السودان بشكله الحالي تقريبا . لقد غزا محمد علي باشا بلاد السودان سنة 1820م كما تفيد المراجع التاريخية لاستغلال ما فيه من الذهب لتمويل مشاريعه التنموية والتوسعية ، واستجلاب الجنود ، وتأمين مجرى النيل لضمان ري الأراضي المصرية وزيادة المساحة المزروعة ، فمنذ أن استقلَّ الباشا بحكم مصر سنة 1805م أخذ

يعمل على تكوين إمبراطورية واسعة ، أدرك أن ذلك يتطلب إنشاء جيش نظامي حديث يحمي به عرشه ، ويمكنه من المحافظة على كيان دولته ، وتحقيق مشروعاته وأطماعه في توسيع رقعة حكمه . وانهزم أهل السودان للجيش التركي ؛ لأنهم كانوا قبائل مفرقة ، ولأن قوتهم كانت أضعف من أن تواجه الجيش التركي ، وما كانت عليه من سلاح ناري وعتاد .. وآثرت بعض القبائل أن تتجنبهم ، بجانب ما شب في سنار من خصومات شخصية وأحقاد ، وما ترتب على ذلك من الفتن والاضطراب..وشواهد التاريخ تقرر ضمنا أن أهل السودان لم يكونوا على رضى بهذا الاستعمار ؛ فقد ترك الغزو جراحاً عميقة في نفوس الأهلين ؛فلاشك أنهم لم ينسوا في فترة الحكم التركي تلك الهزيمة النكراء في ديار الشايقية وغيرها . لاسيما وأن الغزاة لم يعملوا على إزالة آثارها ، بل ساروا في الناس سيرة كلها عنف ،كمعاملة محمد بك الدفتردار للجعليين انتقاماً لصهره إسماعيل باشا ، الذي أحرقوه لصلفه وعدم تقديره في معاملة أهل البلاد ، بجانب فرضهم الضرائب الباهظة ، وطرق تحصيلها ، والتنكيل بمن يتأخر في دفعها مما ألجأ الناس إلى هجر أراضيهم . وقد كشف الشيخ محمد شريف حالة البلاد العامة إبان الحكم التركي :[1]

وما أبَتِ السودانُ حكمَ حكومةٍإلى أن أتى ضعفُ المطاليب من مصر
فكالثلثِ والثلثين للميرِ وحدَهو للشـــيخ والنُّظـَّار أضعافُـه فأدْرِ
بضـربٍ شديـدٍ ثم كتفٍ مـؤلمومن بعـــده الإلقاءُ في الشـــمس والحر
وأوتادِ ذي الأوتاد من بعض فعلهموأشـنَـعُ من ذا كله عـــــمل الهِرّ

وفي الوقت نفسه ، حابوا بعض القبائل وقرَّبوها ، واتخذوا منهم الجنود وأعفوهم من الضرائب ، كما قرَّبوا بعض الطرق الصوفية حتى عظم جاههم مما أحفظ غيرهم عموما .وكان الحكام الذين عينوا لإدارة السودان خليطاً من الأتراك والشراكسة والمصريين ، وغالباً ما يأتون السودان وفي نفوسهم أنهم يراد التخلص منهم ، فأرادوا الإثراء على حساب الموارد الشحيحة . يضاف لكل ذلك أنهم استعانوا بالأجانب دون مراعاة لمشاعر السكان ، بل كان منهم من تولى أمر البلاد وهو على غير دين الإسلام ، مثل أراكيل الأرمني وغردون [2] .. وفي فترة عامين تم للأتراك السيطرة التامة على كل أنحاء البلاد ، وإخماد كل الثورات والانتفاضات التي قام بها السودانيون رفضاً للاستعمار التركي . ولم يعمل الأتراك على تأليف نفوس أهل السودان إليهم ، بل أثقلوا كاهلهم بالضرائب الباهظة ، واتبعوا في جمعها طرقاً وحشية . هذا ، بجانب ما صحب حكمهم من الاستبداد والبطش والإرهاب الذي صار السمة الأساسية للحكم التركي في السودان ؛ فهجر الناس أراضيهم ومزارعهم . وأدى مقتل إسماعيل باشا في شندي إلى الغلو في تنكيل الغزاة بهم ، وتوسيع فجوة العلاقة بين الوطنيين والغزاة ؛ وكل ذلك وغيره كان سبباً في رفض أهل السودان لهم ، وحربهم حتى تخلصوا منهم. ومع ذلك ، فإن بعض المؤرخين يرون في الحقبة التركية في السودان بداية لتاريخنا الحديث ، وبداية لنهضة السودان ، بسبب ما ترتب على سيطرة الأتراك على غالب حدود السودان الحالية. وتوحيده سياسياً ، وإرسائهم نظم الحكم والإدارة . ولما تم في عهدهم من تحديث حينما أخذوا بالأساليب الحضارية في الزراعة وغيرها ، ووجد التعليم اهتماماً أكثر

مـن الحـكام ، وحظـي بتشـجيعهم لشـيوخ الخـلاوى، وإرسـال النابهـين مـن التلاميـذ إلى الأزهـر الشريـف لاسـتكمال الدراسـة ، وإنشـاء مدرسـة نظاميـة في كل مديريـة ، بجانـب المدرسـة التـي أسسـت في الخرطـوم سـنة 1835م . وعرفـت الصحافـة المصريـة طريقهـا إلى السـودان. كـما أن أهـل السـودان ظلـوا يمارسـون نشـاطهم الثقـافي المـوروث دون أن يتأثـروا كثـيراً بالغـزاة . فبقـي الشـعر الشـعبي السـوداني حميـماً ، وظـل القصـص الشـعبي متحـرراً مـن التأثـير, وظلـت الصوفيـة تمـارس لـدى أتباعهـا بنفـس الأشـكال القديمـة وعملـت عـلى تمكـين عقائدهـم في نفـوس عامـة النـاس [3] ..

الأمـر الـذي يؤكـد أن هـذه الحقبـة تمثـل نقطـة تحـول هامـة في تاريـخ البـلاد ، وبدايـة لعهـد جديـد طـرأت فيـه جملـة مـن المتغـيرات عـلى الحيـاة السياسـية والاقتصاديـة والثقافيـة . ومـن ناحيـة أخـرى فإنـه عـلى الرغـم مـما يذكـر في أضابـير التاريـخ عـما ارتكـب في العهـد الـتركي مـن ظلـم وقهـر. فـإن الذكـرة الجماعيـة لم تعـد تضـع عائقـاً أمـام تجـاوز مـا حـدث في علاقاتهـا الاجتماعيـة والسياسـية والاقتصاديـة ليـس بتركيـا وحدهـا بـل ومـصر والإنجليـز إلا في حـالات التوتـرات السياسـية ، وحينهـا يكتفـون بمـا هـو أشـبه بالهتافـات الانفعاليـة ، والتـي سرعـان مـا تنتهـي بانتهـاء التوتـر . ولم يعـد لنـا بتركيـا مجابهـة وتوتـر لعـدم تقاطـع المصالـح بـين البلديـن ، ولأن قـدراً مـن الايجابيـات تطـل برأسـها أمامنـا ؛ فلتركيـا في وجـدان أهـل السـودان فضـل توحيدهـم وتشـكيل غالـب الحـدود القطريـة . كـما أن بعـض المعـالم الحضاريـة شـاهدة بفضلهـم كالقـصر الجمهـوري ومجموعـة مـن المسـاجد والآثـار الإسـلامية . وفي وجدانهـم أن التعليـم النظامـي بـدأ في العهـد الـتركي ، ولهـم الفضـل في تأسـيس كثـير مـن الضوابـط الإداريـة في مرافـق الدولـة العامـة .

هـذا ، غـير الحـس الإسـلامي الرابـط بـين الدولتـين واتجـاه تركيـا الحـالي في إثبـات وجودهـا الحضـاري والاقتصـادي بـين دول العـالم المتحـضر . ومـا نتوقـع في ظـل العلاقـات المتميـزة بـين الدولتـين مـن تعـاون ومـؤازرة تصـل إلى سـقف تكامـل اقتصـادي لمصلحـة الشـعبين.

الألفاظ الدخيلة:

أولاً : مفاهيم عامة :

1.الدخيل:

جـاء في المعجـم الوسـيط [4]:مـن دخـل في قـوم وانتسـب إليهـم وليـس منهـم ، والضيـف لدخولـه عـلى المضيـف ، وكل كلمـة أدخلـت في كلام العـرب وليسـت منـه . كـما يطلـق حديثـاً عـلى الأجنبـي الـذي يدخـل وطـن غـيره ليسـتغل. وجـاء في معجـم اللغـة العربيـة المعـاصرة [5] أن الدخيـل هـو :كل كلمـة أجنبيـة أُدخِلـت في كلام العـرب دون تغيـير فيهـا وليسـت منـه ، كالتلفـون والأكسـجين . ونبَّـه بعضهـم إلى أنـه لا فـرق بـين أن يكـون اللفـظ الدخيـل بنفـس لفظـه في أصـل لغتـه ، أو بتغيـير النطـق بنطـق يشـابهه في العربيـة [6]، وسـواء حـدث تغيـير في بنيتـه وصيغتـه الدلاليـة أم لم يحـدث . فقـد يتغـير مدلولـه في العربيـة عـما كانـت عليـه في لغتـه الأصليـة ، وقـد يتخصـص معنـاه العـام وقـصر في العربيـة عـلى بعـض مـا كان عليـه ، أو يعمـم مدلولـه الخـاص فيطلـق عـلى أكـثر مـما كان عليـه ، وقـد يسـتعمل في غـير مـا وضـع لـه لعلاقـة مـا بـين المعنيـين .

2.اللَّهْجة:

جاء في لسان العرب:أن اللَّهجة (بفتح الهاء وإسكانها) تعني : طَرَفُ اللِّسان وجَرْسُ الكلامِ، ويقال : فلان فصيحُ اللَّهْجَةِ ؛ وهي لغته التي جُبِلَ عليها ، فاعتادَها ونشأَ عليها [7] . وقولهم : هو فصيحُ اللهجة: اللِّسَان، بما يَنطِقُ به من الكلام . وسُمِّيَت لهجةً لأن كُلًّا يَلهَجُ بلُغته وكلامه . [8]

وزاد المعجم الوسيط [9] في تعريف اللهجة أنها طريقة من طرق الأداء في اللُّغة وجرس الْكلام ، وأضاف معجم اللغة العربية المعاصرة [10] أنها طريقة من طرق الأداء في اللُّغة، تتميّز بها طبقة أو فئة اجتماعيّة عن أخرى :» لهجة التُّجار- لهجة قروية/ مصرية» ، أو هي : لغة محلية تختلف عن اللغة الفصحى من حيث اللفظ والقواعد والمفردات : «لهجة دارجة/ عامية/ محلية «.

فاللهجة بهذا التعريف : طريقة معينة في الاستعمال اللغوي ، توجد في بيئة معينة ، ويشترك في هذه الطريقة جميع أفراد هذه البيئة . [11]وتنتمي اللهجة إلى بيئة أوسع، وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية ، التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات « . ويذهب د. أنيس [12] إلى أن «العلاقة بين اللغة واللهجة ، هي العلاقة بين العام والخاص ، فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها ، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية ، والعادات الكلامية ، التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات» ؛ فالعربية أصل تشعبت منها لهجات مختلفة لاتساع منطقتها واختلاف الجماعات والطوائف بعضها عن بعض في شئونها السياسية والاجتماعية، وفي خواصها الشعبية والجسمية والنفسية، وفيما يحيط بها من ظروف طبيعية وجغرافية، كل ذلك وما إليه, يوجه اللغة عند كل جماعة منها وجهة تختلف عن وجهتها عند غيرها، ويرسم لتطورها في النواحي الصوتية والدلالية وغيرها منهجًا يختلف عن منهج أخواتها، ولكنها تظل مع ذلك متفقة في وجوه أخرى؛ إذ تركت العربية الأصل في كل منها آثارًا تنطق بما بينها من صلات قرابة ولحمة نسب لغوي, [13] كالتي نجدها في اللهجات الشامية والمصرية والسودانية ولهجات شمال أفريقيا وغيرها .

3. اللسان :

وقد استخدمنا مصطلح لسان أهل السودان للتعبير عن طريقتهم الخاصة التي يتحدث بها الناس في حياتهم اليومية المعتادة للتعبير عن شؤونهم المختلفة فيما بينهم في شؤون الحياة المختلفة وترجمة ما يهمهم من معان ومشاعر في أحاديثهم ، وإخراج الأصوات والحروف والحركات والسكنات، وهو مجموعة العناصر المميزة المشتركة بين مجموعاتهم في مختلف أجزاء السودان. واللسان بهذا المفهوم أقرب إلى الاستخدام القرآني ، ولك أن تسميها لهجة ، كما نفعل أحياناً . مع العلم بأن اللسان قد يفهم منها أنها أعم من اللغة واللهجة ، فيطلق على لغة العرب (

لسان العرب) وبها نزل القرآن الكريم على القبائل العربية جمعاء ، مع أن كل قبيلة كانت لها لغتها ولهجتها التي تميزها عن غيرها . فلسان العرب هو لغة العرب كما يمارسونها في الواقع فيشمل كل لهجاتهم ولغاتهم قديما وحديثا . وفي لسان أهل السودان تشترك كل القبائل السودانية ومناطقها المختلفة .

4.اللهجة السودانية:

اللهجة السودانية هي لهجة عربية تستخدم في أنحاء السودان المختلفة ، بصرف النظر عن أصول قبائلها العرقية ولهجاتها القبلية أو لغاتها القديمة ، فتستخدمها القبائل العربية والقبائل غير العربية التي تحتفظ بلهجاتها القبلية القديمة وتتحدث بها في إطار أفراد القبيلة أو المجموعة. وبعبارة أخرى هي حصيلة تمازج العربية مع اللغات النوبية والبجاوية والفوراوية والنيلية وغيرها، وهكذا.

وبذلك تعد رابطاً قوياً بين أهل السودان جميعاً .وتتميز عن غيرها من اللهجات العربية بسمات لغوية ذكر منها عون الشريف في (قاموس اللهجة العامية في السودان ، ص 15 وما بعدها):

- عند وقوع حرف ساكن بين متحركين يتم تحريكه مثل كلبٌ من الفصحى تصبح كَلِب في العامية كذلك (ظهْر) (قبْر) بالفصحى تصبح ضهَر ، قبُر بالعامية.
- المهموز يتحول إلى حروف العلة الموازية كما نجد في (غائب) التي تصبح غايب ، (قرأ) تتحول إلى قرا .
- تحويل المهموز إلى حرف أسهل في نطقه مثل (سؤال) التي تصبح (سعال).
- تنطق الذال زاياً والثاء سيناً والظاء ضاداً وفي حالات أخرى تنطق الذال ضاداً كما في ذبح : ضبح.
- عدم الميل إلى استعمال الهمزة،والحروف الساكنة والأصوات الحادة مثل (ذ) و(ث) و(ظ) والحروف الحلقية مثل حرف (ق).

نماذج لنحت المفردات:

الاختصار: على شأن: عشان ، أي شيء هو : شنو ، هذه الساعة : هسع .

الزيادة: تشبط : تشعبط ، سلّط : تسلبط ، سمّر : سمكر،...إلخ).

القلب : نضج : نجض، ملعقة : معلقة. زواج/جواز إلخ

- إبدال الحروف :(سأل/سعل) - جأر/جعر - فقأ/فقع . أين : وين ، منبر : بنبر.. إلخ).
- الحذف: (ولد/ود -ملك/مك- أنت/إتَّ ، بنت : بت ،امرأة : مرة ، نصف : نص.. إلخ).
- إدغام الهمزة في لام التعريف وتشديدها فـ[الأسد] تنطق عادة [اللّسد].
- استعمال [أل] بمعنى [الذي] مثل [البي أمو ما تسأل عنو].
- إبدال هاء الملك للمذكر المفرد واوًا خفيفة أو ضمة، وهاء الملك للمؤنث المفرد ألفًا

خفيفة أو فتحة، وللجمع نونًا: مثل: كتابُهُ/كتابو - كتابُها/كتابا - كتابُهم/كتابُن.

وفي اللهجة السودانية ظواهر محلية تتسم بها لهجات بعض القبائل والجماعات في السودان ، وذكر عون الشريف أن عامية السودان تأثرت ببعض المؤثرات غير العربية وهي على قسمين:

- قسم خاص بالتركيب (المقطع البجاوي «اب» الذي يدل على النسبة في عامية السودان، فيقولون [عبد لابي] بدل [عبد اللاوي]. وكذلك المقطع النوبي [ق] في مثل [طفي ودفيق وعاشمي وعاشميق] وهناك المقطع [آية] الدال على الإفراد والتخصيص والتصغير في مثل قولهم [غنماية] وهو مجهول المصدر.

- قسم خاص بالمحتوى (بامتزاج العرب بالسكان الأصليين للبلاد من النوبة والبجا والقبائل النيلية والفورية وما إليها ترسبت في لغتهم مجموعات كبيرة من ألفاظ هؤلاء الأقوام). [14] فعلى سبيل المثال نجد أن اللغة العربية في السودان دائنة للغة النوبية بنحو الثلاثين في المائة من معجمها) [15]وهي تتمثل غالباً كما ذكر في أسماء عدد كبير من أسماء النشاطات الزراعية، وتربة النيل، وأدوات الحراثة، والزارعة، والرعي، والمنتجات، وأسماء الطيور، والمصطلحات المنزلية والعائلية..

5. اللغة التركية :

يعود أصل اللغة التركية كما ذكر البروفيسور حسيب شحادة [16] إلى سلسلة جبال ألطاي في شمال سيبيريا ، ومن هناك انتشرت إثر تجوال البدو إلى أقطار عديدة مثل أسيا الصغرى وتركمستان وخازستان وأوزبكستان وأذربيجان. وفي مجموعة اللغات التركية ثلاثون لغة تقريبا. وتعود الكتابات التركية الأولى إلى القرن الثامن ميلادي. وكانت اللغة التركية القديمة تكتب بالحروف العربية في زمن الدولة العثمانية ، ثم طرحت الكتابة بالحرف العربي واستعيض عنه بالحروف اللاتينية عام 1923 ، بعد تأسيس الجمهورية التركية الحديثة ، وهذه اللغة يتم تحديثها باستمرار من قبل مجامع اللغة التركية بهدف تنقيتها مما خالطها من المفردات العربية والفارسية الكثيرة.

وتنتمي اللغة التركية إلى اللغات الهندو-أوروبية وهي من الفصيلة الألطية الإلصاقية، أي إضافة لواحق على الكلمة مهمتها تبيان المكان والحركة وتتغير تهجئة اللفظة وفق سلسلة من القواعد العاملة ووفق الانسجام الحركي ، وقد يحدث أحيانا تبديل صوتي. مثل هذه اللواحق قد تضاف إلى نهاية الفعل فتضفي عليه معنى الإيجاب أو السلب. وهناك لواحق خاصة بالأزمنة والضمائر ومثل هذه اللواحق تقوم مقام حروف الجر. ومن سمات التركية أنها فونيتيكية، تكتب كما تلفظ، ولا يوجد فيها ما يقابل أل التعريف العربية ، ولا وجود أيضا للجنس ، أي لا فرق بين صيغة المذكر والمؤنث. تسبق الصفة الاسم ، ونمط الجملة العادي هو: مبتدأ/فاعل فمفعول ففعل.

وفي التركية واحد وعشرون حرفا ، وثماني حركات وهي: a, e, I, i, o ö-;- u ü.

وفي التركية ستّ حالات إعرابية، حالة الرفع وهي الصيغة المجردة من أية لواحق بعكس الخمس الأخرى. حالة الجر تنتهي بإحدى اللواحق: nin, In, un, ü وحالة النصب بواحدة من: i, I,

u, ü وحالة الداتيِف ، أي المفعول غير المباشر, بمعنى نحو، إلى a, e، حالة الظرفية المكانية: da, de, ta, te، حالة الأبلاتيف، أي التحرك من إلى، بواسطة، عبر الخ. dan, den, tan, ten . وبعض الأمثلة: ev معناه بيت وبإضافة اللاحقة de أي evde يصبح المعنى "في البيت" و evden معناه "من البيت"؛ oda, odada, odadan أي: غرفة، في الغرفة ومن الغرفة على التوالي بدء الكلمات التركية من اليسار إلى اليمين. والتأثير التركي في القواعد العربية نادر جدا مثل اللاحقة -جي بالنسبة لأصحاب المهن، مكوجي، سفرجي، خضرجي.

ثانياً : الألفاظ التركية في السودان [17]:

1.الرتب العسكرية :

من أسماء الرتب العسكرية التي استعملت في السودان[18]:تبعاً لاستخدامها في الجيش المصري :أونباشي (عريف) ويراد رأس العشرة (باش بمعنى العشرة)/شاويش (وكيل رقيب) / باش شاويش (رقيب)/ يوزباشي (نقيب): رئيس المائة / بيك باشي : (رئيس الألف)/ بلوكامين (مساعد) بمعنى أمين الرهط، أو كاتبه ، و (ميرالاي) بمعنى آمر الكتيبة./ صاغ (رائد) ، وقد استخدمنا لفظ (صاغ) التركية بمعنى(أيمن)، غير أنها لا تستعمل في التركية للدلالة على رتبة من الرتب العسكرية.....

كذلك استخدمنا المصطلحات العسكرية التالية أيضاً ، وما يزال بعضها باقياً حتى الآن : بلوك ، طابور ، آلاي ، أورطة ، قشلاق ، قره قول ، نوبتجي . علماً بأن تركيا أبطل استخدام كلمة (أورطة) قبل أكثر من قرن في مصطلحاتها العسكرية . كما دخلت في المصلحات العسكرية السودانية كلمات فارسية نقلاً عن الاصطلاحات العسكرية التركية - مثل، بيادة، سوارى، ياور، سردار. كما استخدمنا عنها مصطلح (حكمدار) المركبة من كلمة (حكم) العربية وكلمة (دار) الفارسي، وهو لا يستعمل في التركية إلا للدلالة على (الملوك) . و استخدمنا بعض النعوت والألقاب التركية الخاصة بالرتب الملكية والعسكرية مثل : (بك ، أفندي، باشا ، هانم)على الرغم من إلغائها في تركيا . ويبدو أن السودان يشارك كثيرا من الدول العربية في استخدام الألقاب الرسمية عند ذكر أصحاب الرتب والمقامات الاجتماعية والسياسية الرفيعة أو مخاطبتهم - مثل: صاحب العزة، السعادة ، الرفعة ، الفخامة ، الفضيلة، السماحة، السيادة، المعالي ونحوها بأثر من الاستخدام التركي ، وإن كانوا يضيفون إلى هذه الألقاب حرف (لو) الذي يعرف في قواعد الصرف التركي باسم (أداة المصاحبة) فقالوا (. . . عزتلو، سعادتلو، دولتلو، فخامتلو ، فضيلتلو، سماحتلو. . .) فاستبدل العرب فيها (أداة المصاحبة) التركية بتعبير (صاحب الـ . .) العربية . وتسربت إلى لهجتنا أسماء مجموعة من الوظائف والخدمات المختلفة ، وقد تميزت بسمة اللواحق الخاصة باللغة التركية . منها :

أولاً، الألفاظ التي تحتوي على اللاحقة (جي) التركية :

يأتي استخدام اللاحقة (چي) للدلالة على صاحب مهنة أو حرفة أو صنعة أو وظيفة ، ويضاف عند الأتراك في آخر الكلمة ، فيقولون: بوسطجي (ساعي البريد) ، قهوجي، (بائع القهوة أو صانعها) ، كهربجي (عامل الكهرباء) ؛ وقد وظفت اللهجة السودانية المقطع)جي(حتى في الكلمات التي لم تنحدر من أصل تركي مثل: مكوجي ، ومخزنجي ، وعربجي وتطلق في السودان على سائق عربة الكارو ، وخُدُرجي(بائع الخضراوات). وسُكُرجي (السكير) . تمرچي (الممرض). وغيرها.

- الطوبجي وهي كلمة تركية بمعنى القائم بإطلاق المدفع) المدفعجي)، لأن الطوب تعني المدفع.
- عطشجي : تعني (من يملأ خزان القطار بالماء) وأصلها كلمة (آتش) بمعنى: النار، والنسب إليها (آتش چي) أي: رجل النار أو الوقَّاد .
- وقد تطلق الكلمات العربية المتصلة باللاحقة (جي) على من به نقص أو عيب في الشخصية أو السلوك ، مثل : بلطجي يطلق على من يستعمل القوة بغير حق لابتزاز الناس حقوقهم ، وأصلها صاحب البلطة وكان يطلق على عمال الطرق . سكرجي (على السكير) ، والعونطجي (المحتال والنصاب ، تركية الأصل (Avanta) ومعناه الكسب غير الشرعي) . وقمرجي [وفي السودان تقلب الجيم تاء : قمرتي] على لاعب القمار ، كلمنجي يطلق على المهذار كثير الكلام والمخلف للوعد .

ثانياً، الألفاظ التي تحتوي على المقطع (باش) التركية:

يأتي استخدام المقطع (باش) للدلالة على المقام المتقدم لما يلحق به، ويمكن ترجمته إلى (رئيس أو كبير) : وذلك نحو الأمثلة التالية : باش كاتب، باش مفتش، باشمهندس، باش حكيم. وقد يكون هذا المقطع لاحقة في آخر الاسم كما في يوزباشي وامباشي وبكباشي وحكيمباشي. والأسماء الأساسية في هذه الوظائف عربية وأوصلت بالمقطع (باش) وفقاً لقواعد اللغة التركية. وقد اشتق من هذه الكلمة لفظ (باشا).وأصبح لقب فخر كان السلطان العثماني يمنحه إلى أكابر رجّالات البلاد من الولاة و الحكام و السياسيين البارزين، والشخصيات الهامة . وهذا اللقب يعود إلى المقطع التركي (الباش) baŞبمعنى الرأس . وقد يكون أصله من الكلمة الفارسية : باديشاه Padishah ، ولا تختلف عن معناها التركي. وقيل إنها تعني في اللغة الفارسية العامل بأمر السلطان ؛ لأن (أبا) تعني «الحذاء» و (شا) محرفة عن كلمة (شاه) التي تعني (الحاكم) أو (الملك) أو (السطان(.

ثالثاً، الألفاظ التي تحتوي علىالمقطع(خانه) التركية:

- اللاحقة (خانة): بالتاء المربوطة كلمة فارسية الأصل تعني محل أو بيت، وقد استعملها الأتراك العثمانيون بهذا المعنى لتدل على اسم مكان وكتبوها بالهاء فقالوا: كتابخانه (مكان بيع الكتب)، وجبخانه (مخزن الذخيرة والأسلحة). أجزخانه (صيدلية)، سلخانة (المسلخ)، شفاخانه (المستشفى) ، أدبخانه (المرحاض).

رابعاً ، الألفاظ التي تحتوي علىالمقطع (دار) التركية:

- مثل: حكمدار وبيرقدار ودفتردار وسردار وغيرها.
- كما أخذنا من التركية بعض أسماء الطعام والحلوى مثل البسطرمة والكفتة والقاورمة والطرشي والبسبوسة وغيرها. كما تسرب إلى لهجتنا كثير من المفردات الخاصة بالإدارة والطب والزراعة وغيرها.. وقد تولى إحصاءها وسردها جمع من الباحثين [19].

دلالة تفشي المفردات الدخيلة:

إن مدة الحكم التركي للسودان قصيرة للغاية لا تتجاوز الأربعة والستين عاما [1821- 1885] ؛ وهي مدة لا تؤهل بتأثير خطير بين الأمم في ثقافتها وفكرها ، لاسيما وقد نظر أهل السودان إلى الحكم التركي غزوا واستعمارا .. ولم يمدحوا فيه أو بعده تصرف ولاتهم ولا حكامهم .. واللغة التركية غريبة عن اللسان السوداني في مفرداتها وصياغتها غربة اللغة الانجليزية وغيرها . ولكن من ينظر إلى جملة المفردات والاصطلاحات التي صبغت بها اللغة التركية لهجتنا السودانية وقارن ما تسرب إليها من اللغة الانجليزية ؛ وجد أن التركية تحتل حيزا كبيرا في لغة العامة والمثقفين ، بينما لا تكاد تجد أثر اللغة الإنجليزية إلا في مجال المصطلحات العلمية وما يتصل بها وحذلقة بعض المثقفين فيما بينهم خاصة. وهذا يؤكد بعض ما نشير إليه ؛ أنه ليس بالضرورة غلبة لغة المستعمر .

فهل لنا أن نقول إن اللغة الأكثر ثراء هي التي تحتل حيزا في لغة المغلوب .. إن الاعتماد على هذا الفرض يجد في ظاهره قبولا مناسبا ، ولكننا إذا راجعنا اللغة التركية مقارنة باللغة الإنجليزية نكتشف أن غالب مفردات اللغة التركية معتمدة على اللغة العربية حتى ذكر بعضهم أن المفردات الدخيلة على اللغة التركية من العربية تعدت ال 60% ، الأمر الذي لا يترك فرصة للحديث عن تميز اللغة التركية على العربية .. كما أن اللغة الانجليزية تتفوق عليها في تغطيتها للمفردات الحضارية والمصطلحات العلمية .. وتفسيراً لحجم المفردات والمصطلحات التركية الدخيلة في اللسان السوداني ثمة افتراض يمكن أن يتجه إلى أن اللغة التركية أقرب إلى وجدان الشعب السوداني للتأثير الثقافي والأدبي عليه ؛ غير أنك تجد أن هذا الافتراض أقرب إلى رده وتجاوزه ؛ إذ لم يعرف أهل السودان شيئا من الأدب التركي ، ولم يكُ ثمَّة إعلام مسموع أو مقروء يبث أدب الاتراك

وفكرهم في السودان . هذا ، بينما فرض المستعمر الانجليزي لغته علينا حتى الاستقلال وبعده في المجال التعليمي والثقافي . فعرفنا أدب الإنجليز وفكرهم ، وتأثرنا ببعض أدبائهم في نهضتا الأدبية والثقافية، كما أن الانجليزية كانت لغة التعليم العام والعالي بدلا من العربية . ومع ذلك لم يكن للغة الإنجليز ما للتركية من تسرب في لساننا . وعلى ذلك لنا أن نتجاوز الافتراض بأن اللغة التركية هي الأكثر حيوية . إذ لم تكن علاقتها خاصة بالجوانب الحيوية في حياة المجتمع السوداني ذات أثر واضح مقارنة بالإنجليزية لاسيما وأن غالب المفردات الدخيلة على اللسان السوداني من اللغة التركية لها بديل مناسب في اللغتين العربية والانجليزية .

هذا ، دون أن نغفل أن النظر إلى الأتراك حال حكمهم للسودان لم يكن أكثر رضىً من النظر إلى الإنجليز في استعمارهم . بل إن الذاكرة الجماعية لتحتفظ بسجل حافل بالعنجهية والجبروت والنظرة الدونية إلى الشعب السوداني . كما اقترنت بداية وجودهم في السودان بالمجازر الدموية وإذلال الشعب .. وكما هو حال كل مستعمر لم يكن هم الحاكم التركي إسعاد الشعب ورفاهيته أو تقدم البلاد وتطويرها . وما حدث من ذلك كان وسيلة لتحقيق غايتهم من الاستعمار ، ولم يكن الشعب السوداني هو المستهدف .

إن النظر إلى كل هذه الافتراضات الوجيهة تؤكد إنها لا تشكل داعما لغزو المفردات التركية في اللسان السوداني ، بينما في الوقت نفسه نجد أن اللغة الانجليزية تحظى بكثير من المهيئات لفرض نفسها على لغتنا إذا قورنت باللغة التركية ، لاسيما أنها اقترنت بالمعاصرة والحداثة وهي حتى الآن لغة العلوم .

إن صلة أهل السودان بهذه المفردات والمصطلحات جاءت مقترنةبمسمياتها ، ولم يكن لهم عهد بها قبل ذلك ، ولم يجدوا بديلا لكثير منها فيما يألفونه في لسانهم ، فأقرّوا التعامل الحيوي بها في المعاملات ، ولم ينظروا إليها على أنها دخيلة لاعتيادها عليها .

كما أن هذه المفردات الدخيلة ارتبطت في غالبها بمجالات حضارية لم تكن لنا سابق إدراك بها أو استعمالها؛ فتمكنت .أو كان إدراكنا بها عفوياً ، كالذي نراه في الزراعة ، فلاشك أن أهل السودان كان لهم علم بها ويمارسونها في مزارعهم وجروفهم وبِلدانهم ولكنها كانتزراعة تقليدية ، ولكل منطقة فيما أحسب مفرداتها الخاصة التي تعبر عن عملية الزراعة أو تسمي بها أدواتها وإدارتها .. فلما توسعت الرقع الزراعية وتنظمت إدارتها في العهد التركي وأصبح للأتراك الإشراف عليها إداريا شاعت على الألسنة ما يسمون بها الأشياء الخاصة بالزراعة والمزروعات. وكذلك الحال في الضبطية (أي التنظيم العسكري) وما يتصل بمصطلحات السكة حديد ونحوها .

وهي عين ما نراها في مصطلحات الساقية النوبية على سبيل المثال عندما غزت الأقاليم

غير النوبية التي تمارس الزراعة بواسطة الساقية كالشايقية وغيرهم . وأصبحت تستخدمها حتى اليوم ولم يحوروا فيها إلا قليلاً وذلك بإضافة السمات الصوتية الخاصة بهم على الأصل النوبي . نذكر منها على سبيل المثال أنهم أبدلوا الإمالة التي تكون في آخر الأسماء النوبية بصوت القاف، مثال :

(مِشِّي وتوري) النوبية -أسماء في آلة الساقية - تتحول إلى (مِشِّق وتوريق) وكلمة (مَري) بمعنى الذرة في النوبية و(كشرنقي وأُرِّي) نوعان من البقول تتحولان في لهجة الشايقية مثلاً إلى مريق وكشرنقيق وأرّيق. وهذا التصرف اللغوي بإضافة اللوازم الخاصة باللغة المنتقل إليها مفردات دخيلة نجدها في لغات كثيرة ، وبها حولت اللغة العربية كثيرا مما اقترضتها من لغات الأمم الأخرى ، بل إن كثيرا من علماء العربية لا يجيزون انتقال هذه المفردات إلى العربية دون أن تصطبغ بالصبغة العربية فقالوا في مهندز الفارسية مهندس ... ولم تسلم اللغة التركية نفسها من هذا التصرف حين وسمت ما اقترضتها بميسها الخاص . لاسيما وأنها كما ذكرنا اقترضت كثيرا من المفردات العربية بعد تحويرها لتناسب لسانهم الخاص مثل : شفخانة (شفى : خانة) حكمدار من الحكم.. وقد انتقلت إلينابعد هذا التحوير فاستخدمناها بشكلها التركي .

هل يعزى ذلك إلى أن الأتراك حين دخلوا الإسلام كان يلزمهم في تلاوة القران الكريم وأداء الشعائر الإسلامية الارتباط بالثقافة الإسلامية والمصنفات العربية ... بالإضافة الى أن استعمارهم للمنطقة العربية وحكمهم لها ما يزيد على الثلاثة قرون كانت كافية لتسرب المفردات العربية لها أو اقتراضهم منها لحاجتهم إليها . وهذا ما حدث للغة النوبية بعد أن دخل أهل النوبة في الإسلام واحتكوا بالعرب ؛ إذ تسللت إلى لغتهم مفردات عربية كثيرة وانسابت بين كلماتها ، لاسيما المصطلحات الدينية أو ما يرتبط بالإسلام عقيدة وسلوكا ، بجانب ما تسلل إليها من المفردات الحضارية الحديثة عن طريق اللغة العربية غالباً . وعلى الرغم من كثرة ما انسابت إلى اللغة التركية والنوبية من اللسان العربي ظلت كل منهما محتفظة بسماتها اللغوية الخاصة من حيث أسلوب أدائها ونظمها التركيبية . بل إن الفرعين الكبيرين للغة النوبية : لسان المحس ولسان أهل دنقلا ، التزم كل منهما بتصريفه اللغوي الخاص على الرغم من أساسهما اللغوي الواحد ، حتى لتظنهما لغتين مختلفتين ، بل لا يكاد كل منهما يفهم لسان الآخر . وقد مثلت اللغة العربية المطعمة بالمفردات التركية الدخيلة لسان الطبقة الحاكمة والارستقراطية ولغة التخاطب الحضاري في كثير من الدول العربية ومصر خاصة والسودان ، وأفرزت مفردات التقدير كصاحب الفخامة ، معالي الباشا ، حضرة المحترم ، جنابو .....

كما أن الكلمات الدخيلة ارتبطت باللسان العربي في السودان أو شكلت جزءاً منه ؛ فلم

يجد النفور الذي يمكن أن يحدث باللغة الانجليزية ... وهي ما تجد نحوه في اللغة النوبية حين نوبت الكلمات العربية وأدخلتها في إطار المنظومة النوبية وتجد مثلها في تتريك الكلمات العربية والعكس .وبذلك أصبحت المفردات التركية الدخيلة جزءا من اللسان السوداني وحُورت إلى صيغها ، ولم تعد مرتبطة بالحكم التركي على خلاف ما حدث في بلاد الشام حين تتبعوا كثيرا من الكلمات الدخيلة واستبدلوها بالعربية وذلك لفظاعة الاستعمار التركي في الذاكرة الشامية وبسبب حركة التعريب التي صاحبت التوجه العروبي في الفكر الشامي .وقد شاركنا اللسان المصري في إقرار كثير من المفردات التركية لاسيما وأن الطبقة الارستقراطية تشكلت في مصر من الدماء التركية في الغالب.

كما أن كثيرا من الأسر النوبية في وادي حلفا والسكوت خاصة أصولها تركية كالولياب والخليلاب ، ولهذا اقترنت بالنقاء العرقي ، وأنهم كشاف ، بل لعلهم نظروا إلى الأصول النوبية نظرة دونية ، وارتبطتعندهم كلمة (نُب)التي منها النوبية بمن لا أصل لهم . أما كلمة (نَبْ) بفتح النون فقد أطلقوها على الذهب ، واشتقوا منها كلمة (نَبري) التي تسود حتى اليوم في مقابل ذهبي في اللسان العربية ، ووصفوا بها الحسناوات متى ما أشربت ألوانهن بشيء من السمرة .. وقد اجتهدت تركيا للخروج من هيمنة العربية في لغتها فكتبت معجمها بالحروف اليونانية وستلفت من اللغات الغربية الحية كثيرا ، ولكنها ظلت دون أن تتأثر كثيرا بهذا التغريب ، بل لازمت سماتها اللغوية الفريدة وأساليب بنائها . وكذلك اجتهد بعض ممن يريدون أن تكون للهوية النوبية بصمة وفرادة من مثقفي أهل النوبة ؛ فأحدثوا حروفا خاصة بالنوبية مستمدة من اللغة اليونانية القديمة التي كتب بها مسيحيو النوبة لغتهم إبان هيمنة المسيحية على الأرض النوبية ، مع ما لهذه الرموز الصوتية من ارتباط بالثقافة المسيحية ورموزها . وتناسوا أن اللغات لا تفرض ، بل الجماهير هي التي تصنع لغتها على هواها المرتبط بثقافتها وقيمها . وما كان الأتراك ليقرون بتغريب رموز لغتهم الصوتية ومحو كثير من المفردات العربية في لغتهم وابدالها بغيرها أو استيرادها من اللغات الغربية إلا بالقهر وإلزامهم بها في التعليم والإعلام والمحررات الرسمية . وقد فشلت تركيا تماما حين فرضت لغتها على مستعمراتها وألزمت مثقفيها ألا يتحدثوا إلا بالتركية. فعادت العربية في كل المنطقة العربية أقوى مما كانت . وعلى الرغم من الهيمنة العربية في كل مسار الثقافة والأدب والتعليم على الإنسان النوبي؛ إلا إنه يظل متمسكاً باللغة النوبية ، وبها يتواصل ، رغم أنها منذ زمان بعيد لغة شفاهية ، ولا يعرف أمر الرموز الكتابية المستحدثة في أيامنا هذه إلا أفراد ، ويغلب على الظن أنهم لا يجيدون الكتابة بها ، لارتباط ثقافتهم بنظم الكتابة التي ألفوها ولاعتماد النوبية على التنغيم الصوتي واتساع جدول حالات الصوت الواحد فيها مما يرهق الرموز الصوتية من تحديد منطوق كل صوت ، بينما تقوم الحركات في العربية (كالضمة

والفتحة والكسرة والسكون وما يتفرع منها أحياناً) ، وكذلك في اللغات الغربية كالإنجليزية بالتعبير عن الأصوات التي تساند الصوامت . ولم تفلح كذلك دول الاستعمار الغربي أن يفرضوا لغتهم على المنطقة العربية بصفة خاصة على الرغم مما بذلوا من قهر المحكومين وطلبة العلم على لغاتهم، ولم تفلح المغريات الحضارية في التمسك بها بعد أن انزاحت هذه الدول عن كاهلهم. ولعل ما نعانيه في السودان من الإصرار في الارتباط باللغة الإنجليزية خاصة خير دليل ، وفشل جهود الدولة في الارتقاء بمستوى أداء تلاميذنا في اللغة الإنجليزية في مرحلة التعليم العام ، فتضطر إدارات التعليم إلى تقديم معالجات قسرية دون جدوى . وهو أمر يلزم إلى تقديم معالجات علمية لتفادي ضعف الطلاب في اللغات ، مع الوضع في الاعتبار أن الارتباط الحاجي بلغة معينة يفيد في تعلمها وإحسانها، ولكن دون أن يلغي ارتباطنا بلغاتنا القومية ، لاسيما وأن الحياة المعاصرة وارتباط المجتمع ، والشباب خاصة ، بوسائل التواصل الحديثة تضعف من الاهتمام باللغات وإحسانها . وقد ذكر ساطع الحصرى [20] سبباً لاستمرار العمل بكثير من الألفاظ التركية الدخيلة في مصر - ولاشك أنه يصدق أيضاً على الحالة السودانية - إذ إن كل منهما قد مضى على انفصالهما عن تركية عهد طويل إلا انهما لم يجدا بأساً في استخدام الكلمات والمصطلحات التركية الدخيلة على الرغم من قلة من يعرفون التركية في البلدين ، بينما ألغتها بعض الدول العربية مثل سوريا والعراق، واستبدلتها بما يقابلها أو يعبر عنها في العربية ؛ فقال :أن انفصال مصر حدث قبل أن يستيقظ الشعب يقظة مقرونة بشعور قومي واضحوللغة العربية ، فتساهلت في استخدام الكلمات التركية . ولم تضطر إلى الاصطدام مع اللغة التركية. بينما تم انفصال سورية والعراق عن الدولة العثمانية بعد حوادث كثيرة أدت إلى أيقاظ الشعب يقظة مقرونة بشعور قومي واضح واللغة العربية لم تصبح رسمية هناك إلا بعد أن حدثت مشادة بينها وبين التركية وبعد أن مازج هذه المشادة شيء غير قليل من العنف من الطرف الوافد ومن الثورة من الطرف الآخر. فتحررتا من هذه الألفاظ، واستحدثتا في الدواوين وفي الجيش ألفاظاً واصطلاحات عربية . ويضيف ساطع أن رجال الحكومة كلهم أو جلهم كانوا من الأتراك، وكانت الطبقة العالية تتكون من الأسر التركية التي وفدت على مصر ؛ فملكت الضياع والثروات والمناصب، ومن ثم كانت اللغة التركية والآداب التركية لها مكانة كبيرة في نفوس الخاصة، وكانت الأسر الكبيرة تحرص عليها وتراها غاية الكمال في تثقيف أبنائهم، وإعدادهم لمناصب الحكومة ودواوينها، كما هو الشأن اليوم في الحرص على تعليم الإنجليزية والفرنسية.

خاتمة :

يتضح مما سبق أن سر تفشي الألفاظ الدخيلة في اللهجة السودانية لا تختلف كثيراً عن تفشيها في كثير من البلاد العربية ، ومصر خاصة لاستمرار صلة أهل السودان بمصر وثقافتها خاصة من خلال الاتصالات الشعبية والرسمية بين البلدين ، وأثراً مباشراً لدور الوسائل الإعلامية في مصر وترسيخها لاستمرار هذا الألفاظ والتعابير ، وبصفة خاصة في الوسائل المرئية .

النتائج :

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج ، نذكر منها :

- أن كثيرا من الألفاظ الدخيلة قدمت أسماء ومصطلحات لأشياء وحرف لم يكن لأهل السودان عهد بها إلا في العهد التركي .
- أن كثيرا من هذه الكلمات الدخيلة عربت على أسس معايير لغوية طوعتها لنظام العربية الصوتي والنحوي ؛ فأصبحت قريبة إلى الذوق اللغوي الشائع في لسانهم ، مع ارتباط كثير منها بمفردات عربية في أصولها .
- أن أهل السودان لم يفكروا في التخلي عن هذه المفردات بعد التخلص من الاستعمار التركي للأسباب التي تم ذكرها آنفاً .
- لم تعد تركيا في مرحلة مواجهة وعداء مع السودان ، بجانب الاعتماد على الحس الديني الذي يربط البلدين بوشائج القربى في التقريب بينهما .
- اهتمام القائمين على أمر الثقافة التركية واجتهادهم في الآونة الأخيرة على التقرب من الشعوب العربية من خلال الآلة الإعلامية والسينما بخاصة ..

توصيات :

لما سبق ذكره مقدماً نوصي بضرورة دراسة ما يقرب البلدين ويقوي وشائج الترابط بينهما في مجالات الحياة المختلفة على أسس علمية راسخة مع مراعاة المصالح المشتركة ودون إغفال للعواطف الدينية ، والسعي نحو تجميع قوى الأمة الإسلامية بأدوات العصر ووسائله وخطابه ، وتوجيهها نحو قوتها العادلة ، والعيش الكريم ورفاهيتها .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

الهوامش:

(1) عبده بدوي : الشعر في السودان ، سلسلة عالم المعرفة 41، الكويت – 1981م ص 61-62 .

(2) محجوب آدم : الأدب السوداني ، مطبوعات جامعة الزعيم الأزهري ، دار العروة الوثقى ، الخرطوم ، 2014 م ص : 23 وما بعدها .

(3) 3 محمد المكي إبراهيم : الفكر السوداني أصوله وتطوره, مطبعة أرو التجارية ، ص : 21 .

(4) إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط / مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مادة (دخل).

(5) أحمد مختار عبد الحميد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، لبنان ، بيروت، 2008 م ، 729/1.

(6) وهذا اصطلح عليه بالمعرب .. وهو يطلق على الألفاظ الأجنبية التي اقترضتها اللغة العربية ، وطوعتها لمنهجها بتغيير في اصواتها وبنيتها . واقتصروا في تعريف اللفظ الدخيل بأنه اللفظ الذي لم يطرأ عليه أي تغيير ، وإنما هي يستعمل في العربية كما كان يستعمل في لغته الأصلية . وان لم يفرق بعض اللغويين بينهما كالسيوطي والخفاجي . ومحمد المبارك ورشيد العبيدي في المحدثين .. ينظر علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة ، ط. 1951م . ومحمد التونجي : المعرب والدخيل في اللغة العربية وآدابها ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان 2005م .

(7) ابن منظور : لسان العرب ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت .

(8) أحمد بن فارس : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : هارون ، دار الفكر ، - 1979م(5/ 215)

(9) المعجم الوسيط ، باب اللام ، 841/2

(10) معجم اللغة العربية المعاصرة، 3/ 2041.

(11) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مجدي وهبة وكامل المهندس. مكتبة لبنان. ط2 .بيروت 1984. ص320.

(12) إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، ط 4 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1973م : (ص: 16- 18).

(13) علي عبد الواحد وافي : علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى علم اللغة (ص: 172- 174)

(14) عَون الشريف قاسم : : قاموس اللهجة العامية في السودان الدار السودانية للكتب-الخرطوم ، ط3 ، 2002م، .

(15) د. عبد الهادي تميم : اللغة العربية في المجتمع ،ص9 ..نقلاً عن عبد المنعم عجب الفيا في بحثه المنشور في الشبكة العنكبوتية (في الأصول النوبية للهجة السودانية): ولو اقتصر تميم على كثرة الكلمات النوبية في العربية في السودان بدلاً من تحديدها بثلث الكلمات لكان أوفق ، وقد ذكر عبد المنعم في بحثه: أنه قد « استقر رأي الباحثين على أن النوبية أخذت 30% من مفرداتها من العربية. (ترمنجهام ص 43). وقال : من خلال النظر في معجم آرمبروستور للغة النوبية الدنقلاوية (باللغة الانجليزية) وجدنا أن هذه النسبة صحيحة .»

(16) نقلاً عن خليل البدوي : كلمات تركية دخيلة على اللغة العربية(3)، بموقع الحوار المتمدن عام 2013م.

(17) رصد الألفاظ الدخيلة في اللهجات العربية كثير من الباحثين ، وتجد في الشبكة العنكبوتية مجموعة منها : نذكر منها : ساطع الحصري ، نقلاً عن مجلة الرسالة (المكتبة الشاملة) وعبد الصبور شاهين في مقاله استعمالات تركية في العامية المصرية ، وخليل البدوي في مقاله كلمات تركية دخيلة على اللغة العربية(3)، بموقع الحوار المتمدن عام 2013م.

(18) ليس همنا فيما نذكره من الألفاظ الدخيلة على اللهجة السودانية ، أن تكون مستخدمة من قبل في مصر والشام أو حتى يومنا هذا أو أبدلت بغيرها . علماً بأن الرتب العسكرية أعلاه أبدلت في السودان رسمياً لتصبح كأسماء الرتب العسكرية في البلاد العربية ، ولم يعد للألقاب العسكرية من أثر إلا في ذاكرة من عايشوا مرحلة استخدامها في السبعينات وقبلها .. وهذه المصطلحات نقلاً بالتصرف عن ساطع الحصري: بقايا التركية في لغة مصر الرسمية ، مجلة الرسالة ، العدد: 189، 10/ المكتبة الشاملة) .

(19) ينظر :عون الشريف قاسم : دراسات في العامية وقاموسه ، وبحث عبد الصبور شاهين وغيرهما..

(20) ساطع الحصري : بقايا التركية في لغة مصر الرسمية ، نقلاً عن مجلة الرسالة ، العدد 189 - فبراير - 1937